النصوص الفلسفية المترجمة بين الأمانة والخيانة "لودفيج فتجنشتين وتوماس كون نموذجا " (*)

أ.د. محمد أحمد السيد

أستاذ المنطق وفلسفة العلوم

كلية الآداب – جامعة المنيا

غنى عن فضل البيان أن الحضارات الإنسانية الكبرى عرفت أهمية وتأثير الترجمة منذ أمد بعيد. ولقد أقر معظم المؤرخين المنصفين بالدور المحوري الذي لعبته الترجمة في نشأة وتطور الحضارات المختلفة، ومن بينها الحضارة الإسلامية التى حافظت عبر البحث والترجمة على عيون الفكر اليونانى القديم خاصة فى مجالات الفلسفة والأدب، حتى أن بعض المستشرقين لا يرون دوراً للحضارة الإسلامية يعادل في أهميته دور ترجمة تلك الأعمال والحفاظ عليها. ولقد كان للترجمة الفضل فى أن تصبح اللغة العربية لغة عالمية للفكر والتعبير:

كانت ترجمة التراث العالمى السابق إلى اللغة العربية هى المقدمة الضرورية لتأسيس معرفة جديدة، تجاوزت المعرفة القديمة فى موضوعاتها ومناهجها وغاياتها، وكتبت الفلسفات والعلوم بلغة الثقافة العالمية فى العصور الوسطى، أى بالعربية.(مصطفى لبيب، 2010،ص 9)

وتحفل عملية الترجمة بمشكلات علمية وفنية عديدة خاصة إذا اعتبرنا الترجمة علم وفن:

يمكننا القول إذا ما تمسكنا بالأمر، إن الترجمة تبقى فنا كالطب، ولكنه فن يقوم على علم. (Mounin, 1963, p.16)

وإذا كانت موضوعات ومشكلات الترجمة تتداخل وتتقاطع مع موضوعات ومشكلات اللغة والابستمولوجيا والمنطق والميتافيزيقا، فإن مشكلة الأمانة والخيانة في نقل وترجمة النصوص تظل أحد أهم المشكلات التي تتعلق بالترجمة. سوف أناقش في هذا البحث موضوع الترجمة بين الأمانة والخيانة مع تطبيق الأمر على

(*)سبق نشر بعض أجزاء من هذا البحث فى مجلة الفلسفة والعصر التى تصدر عن المجلس الأعلى للثقافة بالقاهرة.

موضوع تعدد النصوص المترجمة في مجال الفلسفة من خلال النظر فى أحد أهم الكتب التى صدرت فى مجال فلسفة العلم فى النصف الثانى من القرن العشرين وتعددت ترجماتها إلى اللغة العربية وهو كتاب توماس كون "بنية الثورات العلمية".

الترجمة بين الأمانة والخيانة:

عند تناول قضايا الترجمة ومشكلاتها، يدور الحديث فى الأغلب الأعم حول ثلاثة عناصر أساسية يتعين مراعاتها فى عملية الترجمة؛ وهى دور القائم بعملية الترجمة أو المترجم، ثم المصدر أو النص الأصلي المراد ترجمته source language والتي نقلت إلى اللغة الفرنسية بعبارة langue source أى لغة الأصل أو بعبارة langue de départ أى لغة الانطلاق، وأخيرا اللغة المنقول إليها أو الهدف target language التي نقلت إلى الفرنسية بعبارة"langue cible لغة الهدف" أو بعبارة langue d'arrivéلغة الوصول.

إذا بدأنا الحديث بالمترجم يتعين أن نذكر ضرورة أن تتوافر فى المترجم الحاذق المتميز مجموعة من السمات والقدرات اللغوية والفكرية والمنطقية، جنبا إلى جنب مع ضرورة تمتعه بصفتي الكفاءة والمهارة. تتعلق الكفاءة بالقدرات اللغوية التي يجب أن يتحلى بها المترجم وضرورة استمراره فى تنمية وصقل تلك القدرات، أما المهارة فتتعلق بقدرة المترجم على الإنجاز والاختيار بين البدائل اللغوية المتاحة. ولعل عبارات الجاحظ فى هذا المقام تعبر خير تعبير عن السمات والقدرات التي يتعين توافرها في المترجم أو "الترجمان" بحسب تعبيره:

لابد للترجمان من أن يكون بيانه في نفس الترجمة، في وزن عمله في نفس المعرفة، وينبغي أن يكون أعلم الناس باللغة المنقولة والمنقول إليها، حتى يكون فيها سواء وغاية، ومتى وجدناه أيضا قد تكلم بلسانين، علمنا أنه قد أدخل الضيم عليهما؛ لأن كل واحدة من اللغتين تجذب الأخرى وتأخذ منها، وتعترض عليها، وكيف يكون تمكن اللسان منهما مجتمعين فيه، كتمكنه إذا إنفرد بالواحدة، وإنما له قوة واحدة، فإن تكلم بلغة واحدة استفرغت تلك القوة عليهما، وكذلك إذا تكلم بأكثر من لغتين، على حساب ذلك تكون الترجمة لجميع اللغات. (الجاحظ، 1955، صص 75-78)

وإذا كان يتعين علينا مراعاة هذه القدرات وتجنب تلك المحاذير عند الحديث عن الترجمة فى مجالات العلم (كان الجاحظ يتحدث عن الهندسة والحساب والموسيقى والفلك)، فالأمر أوجب بل وأكثر تعقيدا عند الحديث عن ترجمة النصوص الدينية والفلسفية والأدبية بطبيعة الحال:

هذا قولنا في كتب الهندسة، والتنجيم، والحساب، واللحون، فكيف لو كانت هذه الكتب كتب دين وإخبار عن الله -عزل وجل- بما يجوز عليه مما لا يجوز عليه، حتى يريد أن يتكلم على تصحيح المعاني في الطبائع، ويكون ذلك معقودا بالتوحيد، ويتكلم

في وجوه الإخبار واحتمالاته للوجوه، ويكون ذلك متضمنا بما يجوز على الله تعالى، مما لا يجوز، وبما لا يجوز على الناس مما لا يجوز، وحتى يعلم مستقر العام والخاص، والمقابلات التي تلقى الأخبار العامية المخرج فيجعلها خاصية؛ وحتى يعرف من الخبر ما يخصه الخبر الذي هو أثر، مما يخصه الخبر الذي هو قرآن، وما يخصه العقل مما تخصه العادة أو الحال الرادة له عن العموم؛ وحتى يعرف ما يكون من الخبر صدقا أو كذبا، وما لا يجوز أن يسمى بصدق ولا كذب؛ وحتى يعرف اسم الصدق والكذب، وعلى كم معنى يشتمل ويجتمع. (الجاحظ، 1955، صص 75-78)

ويمكننا تلخيص حديث الجاحظ فى القول بأنه كان يرى ضرورة مراعاة عدة أمور عند الترجمة، أهمها مستوى معرفة المترجم بالموضوع، وضرورة أن يكون المترجم على دراية بحقائق مذهب الكاتب الذي يترجم له، ثم مستوى التمكن من اللغة الأصلية للنص أو لغة المصدر جنبا إلى جنب مع لغة الهدف ذلك لأن الترجمة هي فن استعمال اللغة والأفكار.

بيد أننا نود أن نضيف إلى الصفات التي ذكرها الجاحظ أن المترجم يحتاج إلى جانب الكفاءة والمهارة، القدرة على تأويل النص بعد قراءته قراءة جيدة، فضلاً عن ضرورة فهم ومعرفة المفاهيم التي يتضمنها النص. فالترجمة ليست مجرد نقل نصوص الآخرين أو مطابقة حرفية بين النص الأصلى والنص المترجم، وإنما الترجمة إعادة تعبير عن المعنى الأصلي بصيغة ورؤية جديدة. ولا غرابة، إذن، إذ اعتبر الكثيرون الترجمة لوناً من ألوان الإبداع الذى يرقي إلى أن يكون تأليفاً غير مباشر، كما يعد نقلاً للفكر من لغة إلى أخرى ومن حضارة إلى حضارة ومن زمن إلى زمن آخر. والتأويل وفق تعريف ابن رشد هو:

إخراج دلالة اللفظ من الدلالة الحقيقية إلى الدلالة المجازية من غير أن يخل في ذلك بعادة لسان العرب في التجوز من تسمية الشيء بشبيهه أو بسببه، أو لاحقه، أو مقارنه، أو غير ذلك من الأشياء التي عودت في تعريف أصناف الكلام المجازي. (ابن رشد، فصل المقال في ما بين الحكمة والشريعة من الاتصال، القاهرة 1910)

وعند الحديث عن التأويل يتعين أن نميز بين مفهوم النقل ومفهوم الترجمة. فحين نقول أن فلاناً نقل المعنى من لغة إلى أخرى، فإننا لا نطمح فى معرفة تتعدى المعنى المباشر للكلمات والعبارات المنقولة، أما حين نقول أن فلانا ترجم المعنى من لغة إلى أخرى فإننا نقصد أو نأمل أن يكون ذلك الشخص لم يكتف بمجرد نقل المعنى وإنما ترجم التصورات والمفاهيم المتضمنة فى النص الأصلي. فحين نقول، على سبيل المثال، أن فلاناً ترجم أفكار برتراند رسل في السببية أو فى طبيعة المعرفة، أو ترجم معنى الوجود عند هيدجر فإننا نقصد أنه لم يكتف بنقل معانى تلك المصطلحات فقط وإنما ترجم لنا مفاهيم وتصورات خاصة بهذين الفيلسوفين. تتطلب ترجمة

الأعمال الفلسفية ما هو أكثر من مجرد معرفة اللغتين المنقول منها والمنقول إليها. إذ أن ترجمة مثل تلك الأعمال تتطلب إلى جانب امتلاك ناصية اللغتين، معرفة دقيقة بحضارة اللغتين والقدرة على النفاذ إلى التصورات والمعاني التي يقصدها المؤلف. ولعل الجهد الذي بذله المترجمون في محاولة العثور على مقابل مناسب لبعض مصطلحات شوبنهاور أو نيتشة أو هيدجر، على سبيل المثال، تدلل على صحة هذا القول. فقد حاول الكثير من المترجمين فى اللغات المختلفة، دون جدوى، إيجاد مصطلح مناسب يعادل مصطلح Dasein الذى يعد أحد أهم المصطلحات في فلسفة هيدجر ويرتبط ارتباطاً وثيقاً بنظريته في الوجود. وفى اللغة العربية قدم عبد الرحمن بدوي اجتهاداً مهماً حين ترجم هذا المصطلح "بالآنية" وهو مصطلح تم تعريبه ليقابل فعل الكينونة اليوناني einai الذي ورد عند أبي البركات البغدادي بمعنى الوجود في مقابل الماهية. في حين يرى آخرون أن لفظ الكينونة أقرب إلى التعبير عن معنى Dasein ، وهو يعادل المقابل الفرنسي l'etre- la للفظ الألماني الأصلي. ولكن ماذا كان هيدجر يعني بالدازاين؟ ولماذا تظل هذه الكلمة تستعصى على الترجمة إلى اللغة العربية بل والى أية لغة أخرى؟

نحن لسنا بمعرض تناول تفاصيل فلسفة هيدجر فى هذا المقال ولكنا نريد الإشارة إلى الصعوبات التى تقابل المترجمين فى بعض الأحيان، فكلمة Dasein تعني في الألمانية الموجود هناك وفى استخدام هيدجر لها تميز الموجود النموذجي الذي يسمح للوجود بما هو موجود أن يوجد، في حين أنها كانت عند كانط تعني مقولة الوجود المناقض لمقولة اللاوجود بينما كانت تفيد عند هيجل الحضور المتعين. وقد حازت اللفظة مكانة جوهرية في فكر هيدجر حيث كان يشير بها إلى الطابع الخاص للوجود البشري، وتعود المكانة التي احتلتها إلى انفرادها عن بقية الموجودات بقدرتها على مساءلة الوجود وبذلك تحولت عنده إلى مرجع لكل حضور قصدي. من الواضح أن المشكلة لا تكمن فى كلمة غامضة أو فى صعوبة الترجمة وإنما فى أن هيدجر نفسه يستخدم المصطلح بمعنى غير مسبوق، حتى أن واحدا من أهم من درسوا فلسفة هيدجر فى الفكر العربى يرى استحالة ترجمة بعض كلمات هيدجر حين يقول:

الكلمات عند هيدجر إذن ليست ألفاظا أو رموزا اصطلاحية وهي تشير من خلال فعل الإظهار والتلميح مثلما "تشير" نبوءة الكهنة في معبد دلفي بأن "تلمح" على حد قول هيراقليطس. والإظهار من خلال التلميح يعنى أنه يبقى هناك دائما شيء ما مظلم ومتحجب أو لا منطوق أي لا مقول وهذا هو معنى قول هيدجر: "ان كل ما يكون منطوقا ينبثق على أنحاء عديدة مما يكون لا منطوقا". واللامنطوق ليس مجرد شي ء ما ينقصه الصوت، وإنما هو ما يقيم في التحجب ويبقى مسكوتاً عنه لأنه لا يمكن أن يقال unsayable إنه يبقى سرا وبذلك فإن لغة النص الأدبي تكشف الوجود وتظهر العالم من خلال التحجب الذي يسكن داخل لغة النص الأدبي ذاته. (سعيد توفيق، 2009)

ويشارك هيدجر الفيلسوف المعروف فتجنشتين فى القول بعجز الكلمات التعبير عن الكثير من الأشياء، فبعض الموضوعات الخاصة بالدين والجمال والأخلاق والتصوف لا يمكن وضعها فى رأى فتجنشتين فى كلمات، وفى هذه الحالة يكون "إظهارها" فقط ممكناً.

ودعنا لا ننسى أن هيدجر لا يعتبر اللغة مجرد وسيلة للفهم أو أداة يملكها الإنسان إلى جانب غيرها من الأدوات، وإنما اللغة تعبير عن جوهر الوجود الإنسانى، فحيث توجد لغة، يوجد عالم، وحيث يوجد عالم يوجد تاريخ. اللغة عند هيدجر هي مسكن الوجود، وهنا يكمن جلالها وخطورتها. إنها حسب هيدجر "أخطر النعم" وما دامت أخطر النعم، فهي أكثر من مجرد أداة أو وسيلة للتواصل، إنها كشف وانكشاف. فالوجود ينكشف في اللغة.

الأمر، إذن، لا يتوقف على مدى قدرة المترجم وبراعته في نقل المعاني ودلالات اللغة المترجمة فحسب وإنما يتوقف أيضا على درايته بأفكار المؤلف ومراميه، جنبا إلى جنب مع فهم التصورات المتضمنة فى تلك الأعمال. إن صعوبة ترجمة نص معين لا تعبر بالضرورة عن غموض النص أو عدم أصالته أو عجز المترجم، فالنص فيما يقول جاك دريدا:

...لا يحيى إلا إذا بقى ودام، ولا يستمر أو يسمو على نفسه إلا إذا كان في الآن عينه يقبل ولا يقبل الترجمة. فإذا كان يقبل الترجمة قبولاً تاماً فإنه يختفي كنص وكتابة وجسم للغة. أما إذا كان لا يقبل الترجمة كلية، حتى في إطار ما نعتقد أنه لغة واحدة، فسرعان ما يفنى ويزول. (عبد السلام بنعيد العالي: في ما لا يقبل الترجمة)

أما بالنسبة لعملية الترجمة ذاتها فإن الصعوبات التي تكتنفها جعلت العديد من المترجمين يروجون منذ أمد بعيد لمقولة الأمانة والخيانة فى الترجمة، وهو المعنى الذى عبر عنه المثل الإيطالى الشهير Traduttore traditore أى الترجمة خيانة، بمعنى عدم إمكان وجود ترجمة دقيقة لأي نص مهما بذل المترجم من جهد. وقد عبر جورج مونان عن هذه الفكرة بقوله:

"يمكننا تلخيص كل الحجج ضد الترجمة في حجة واحدة: الترجمة ليست هى الأصل" (Mounin,1963, p.13)

أو الزعم بأن "كل نص مترجم ناقص بطبيعته"، فهو ليس الأصل، أو أقل من الأصل. ولكن إذا كان المقصود من وراء الترجمة هو النقل الحرفى الأمين بحيث تأتى الترجمة صورة مطابقة للأصل، فلا نملك إلا أن نقول أن هذا أمر مستحيل تحقيقه مهما بلغت براعة المترجمين. وحين نتحدث عن موضوع الأمانة والخيانة فى الترجمة يتعين أن نطرح أسئلة من قبيل: ما الذي نعنيه بالأمانة؟ من المقصود بالأمانة؟ هل نقصد الأمانة للغة المصدر أم للغة الهدف؟ أم للقارئ؟ أم للعصر الذي

وضع فيه النص الأصلي؟ أم لكل هذه العناصر مجتمعه؟

ثمة مقولة رائجة فى هذا المقام مفادها أن الترجمة تشبه المرأة التي حين تكون جميلة لا تكون أمينة وحين تكون أمينة لا تكون جميلة. وقد سادت مقولة الأمانة والخيانة فى فرنسا خلال القرن السابع عشر وهو العصر المسمى بعصر الجميلات الخائنات les belles infidelles ، غير أن الحديث عن الأمانة والخيانة بهذه الطريقة المفرطة فى التبسيط يتجاهل أن الترجمة عملية إبداع لا تقل شأناً عن التأليف ذاته؛ كما يتجاهل أن المترجم يجتهد فى أن يعيد صياغة ما يقوله النص الأصلي، أي يحاول أن يقول نفس المعنى الذي قاله المؤلف فى لغة مغايرة. من هنا يعتبر البعض عملية الترجمة بمثابة عملية تجميل نعيد فيها إنتاج النص الأصلي بصورة جديدة، وحين تكون هذه العملية ناجحة فكثيراً ما يصعب الحكم على النص هل هو نص مترجم أم نص أصلي فضلاً عن أن الترجمة الحقيقية تكون لصيقة بالبعدين الفلسفي والجمالى. ودعنا أخيراً لا ننسى أن الأمانة التي نتحدث عنها مطلب نسبي تتحكم فيه عوامل عديدة من بينها الوعي اللغوي والحضارى، والإحاطة بالكلمات وظلالها، فالكلمات لا تعني دائما نفس الشيء، فضلاً عن أن المطابقة اللغوية بين الحضارات المتباينة أمر مستحيل حتى لو كان الحديث يدور حول لغة واحدة. فلفظ إمرأة على سبيل المثال، يثير من المعاني في ذهن قاطن الصحراء والخيام أو أحد الجماعات الدينية المتطرفة ما لا يثيره في ذهن ساكن العاصمة أو الشخص الليبرالى المدافع عن حقوق المرأة؛ وكلمة فلسفة تثير فى نفس الشخص المتحضر مشاعر الترحيب والتبجيل والإعلاء بينما تثير فى نفس بعض المتشددين والمتسلطين مشاعر الكراهية والتوجس والريبة. من هنا فالترجمة الحرفية الأمينة التي تقول كل ما يقوله النص الأصلي دون زيادة أو نقصان خرافة لا وجود لها، ولعل هذه الأسباب تدفعنا إلى ضرورة اعتبار الترجمة إعادة تأويل لنصوص مكتوبة، وحين ننقل أو نترجم تلك النصوص فإننا ننقل معها حضارة وثقافة وفكر.

خلاصة القول أن مفهوم الأمانة مفهوم ضبابي غامض لأنه لا يعني أمراً واحداً، فهل قد يعنى مجرد احترام المحتوى العام للنص دون الالتزام بترجمته ترجمة حرفية، وقد يعنى الالتزام بالترجمة الحرفية للنص وعدم الحياد عن ذلك قدر الطاقة، ومن الطريف أن الشاعر الرومانى هوراس رفض في كتابه فن الشعر، كل ترجمة حرفية لأنها في رأيه من سمات المترجم ضعيف الفؤاد.(هوراس، 1988)

تعدد النصوص الفلسفية المترجمة بين الأمانة والخيانة:

كثيراً ما نصادف بعض الأعمال التي تتكرر ترجماتها عبر فترات زمنية مختلفة، وهو أمر يجعلنا نتساءل عن مبررات تكرار ترجمة تلك الأعمال؟ بالطبع قد نشعر بالحاجة إلى إعادة ترجمة عمل معين إذا مضت على ترجمته فترة طويلة ولم تعد الترجمة الأولى متاحة، وربما نعيد ترجمة عمل معين لعدم الرضى عن الترجمة

بسبب غموض المصطلحات أو عدم سلامة العبارات أو حتى عدم دقة الترجمة بصفة عامة، أو ربما لتقادم العهد بالترجمة وتبدل معانى بعض الألفاظ، خاصة لأننا نعلم أن الدلالة الإيحائية للمعجم في لغة معينة، من قبيل اللغة العربية مثلا، كثيراً ما تتغير لتتكيف مع عوامل عديدة مؤثرة. وربما نلجأ إلى إعادة ترجمة عمل حين نكتشف أن الترجمة التى بين أيدينا تمت عبر لغة وسيطة وليس من خلال اللغة الأصلية التي صاغ بها المؤلف العمل مما قد يكون له بعض الأثر فى عدم دقة الترجمة، وهو أمر تكرر كثيرا فيما مضى عند ترجمة الأعمال التى كتبت باللغة اللاتينية أو اليونانية أو حتى الألمانية أو الفرنسية إلى اللغة العربية عبر اللغة الإنجليزية الأكثر انتشاراً. ولعل العبارات التى يعلق بها المفكر المصرى الكبير عثمان أمين على ترجمته لكتاب الفيلسوف الفرنسى ديكارت "التأملات فى الفلسفة الأولى" تعبر عن ذلك خير تعبير:

...عندما نترجم ينبغى أن تكون الترجمة عن الأصول لا عن ترجمات أخرى؛ ذلك لأن الترجمة عن ترجمات أخرى قد تؤدى إلى البعد عن النص الأصلى وتحريف المعنى الذى قصد المؤلف إليه، ولا غرابة فى ذلك، فإن المترجم من لغة النص الأصلية (ولتكن اللاتينة) إلى اللغة المنقول إليها (ولتكن الفرنسية) قد يضطره اختلاف اللغتين فى الصياغة والأسلوب إلى التصرف فى بعض المواطن، فإذا ما تناول الترجمة الفرنسية نفسها مترجم آخر، لينقلها إلى العربية مثلاً، وجد نفسه مضطرا إلى شئ من التصرف وهكذا من نقل إلى نقل يقف تعدد الوسائط بيننا وبين النص الأصلى حائلا دون الاتصال المباشر بالمؤلف نفسه.(مصطفى لبيب، 2010، ص 146)

ومن الطريف أن الفيلسوف والأديب العربى أبو حيان التوحيدي عبر منذ القرن الرابع الهجرى عن مثل هذا الأمر في المقابسات بقوله:

...على أن الترجمة من لغة اليونان إلى العبرانية، ومن العبرانية إلى السريانية، ومن السريانية إلى العربية، قد أخلت بخواص المعاني في أبدان الحقائق، إخلالاً لا يخفي على أحد. ولو كانت معاني يونان تهجس في أنفس العرب مع بيانها الرائع وتصرفها الواسع، وافتنانها المعجز، وسعتها المشهورة، لكانت الحكمة تصل إلينا صافية بلا شوب، وكاملة بلا نقص. ولو كنا نفقه عن الأوائل أغراضهم بلغتهم كان ذلك أيضاً ناقعاً للغليل، وناهجاً للسبيل، ومبلغاً إلى الحد المطلوب. ولكن لابد في كل علم وعمل من بقايا لا يقدر الإنسان عليها، وخفايا لا يهتدي أحد من البشر إليها. (التوحيدى، المقابسات)

خلاصة الأمر، كثيراً ما يضيع المعنى عند الترجمة عبر لغة وسيطة حتى يكاد يكون في بعض الأحيان ملتبساً لا علاقة له بمراد المؤلف.

وعلى خلاف الفلسفة، حظيت الأعمال الأدبية خاصة الشعر والرواية بترجمات

متعددة لنفس الأعمال فى مختلف اللغات. من الأعمال التي ترجمت مرات عديدة إلى اللغة العربية فى مجال الأدب مسرحية روميو وجولييت، التى ترجمها طانيوس عبده عام 1898، وترجمها حسن محمود عام 1960 وفي العام نفسه ترجمها مؤنس طه حسين، وترجمها عام 1978 جمال غازي وأيضاً ترجمها في العام نفسه علي أحمد باكثير. وأيضا من الأعمال التي ترجمت أكثر من مرة إلى اللغة العربية الأوديسة لهوميروس التي ترجمها درينى خشبة عام 1960 وأمين سلامة عام 1978 ، وفى مجال الشعر حظيت قصيدة الشاعر الفرنسى لا مارتين وعنوانها le lac "البحيرة" بعدة ترجمات إلى اللغة العربية، والقصيدة تصف ذكرى حب قصير مأساوى عاشه الشاعر على ضفاف بحيرة بورجيه، وكان حينها في السادسة والعشرين من عمره حين رحلت جولي التي أحبها واتفق معها على اللقاء في مدينة أكس ليبان، لكنه حين عاد في الموعد لم يجد أمامه سوى الوحدة التي راحت تفترسه بلا رحمة، فراح يستذكر أيامه الخوالي ويرثي حبيبته. وكان أول من ترجمها إلى العربية أحمد حسن الزيات عام 1925 ثم الشاعر علي محمود طه عام 1926 ثم إبراهيم ناجي والدكتور نقولا فياض ثم الدكتور محمد مهدي البصير من العراق عام 1938 وبعده عبدالرزاق حميدة عام 1948 ثم الشاعر محمود المحروق عام 1955 ثم محمد أسعد ولاية وأخيرا زكي نجيب محمود. وقد قام كل من أحمد حسن الزيات وإبراهيم ناجي ونقولا فياض ومحمد مهدي البصير وعبدالرزاق حميدة وأسعد ولاية بترجمة القصيدة عن اللغة الفرنسية، بينما قام علي محمود طه وزكي نجيب محمود ومحمود المحروق بترجمتها عن الإنجليزية. وتعد ترجمة أحمد حسن الزيات أكثر تلك الترجمات تأثيرا فى النفس بلغته الجزلة المعبرة كما تعد ترجمة علي محمود طه التى جاءت في قالب شعري موزون ومقفى أكثر تلك الترجمات عذوبة ورقة على الرغم من أنها جاءت عبر لغة وسيطة هي الإنجليزية.

أما فى مجال الفلسفة فيندر أن نجد فى اللغات الأجنبية تكراراً لترجمة نص معين إلا إذا اقتضت الضرورة ذلك كما هو الحال فى ترجمة معظم أعمال أفلاطون وأرسطو وبعض أعمال هيجل وكانط من لغاتها الأصلية إلى اللغة الإنجليزية أو اللغة الفرنسية.

ولا يختلف الأمر كثيرا فى البدان الناطقة باللغة العربية، إذ على الرغم من وجود ترجمات متعددة لبعض الأعمال الأدبية، فقد كان يندر فى مجال الفلسفة أو الكتابات الأكاديمية بصفة عامة أن تجد أكثر من ترجمة للعمل الواحد، ربما يعود الأمر لصعوبة القيام بذلك أو لأن الترجمات السابقة فى مجال الفلسفة قام عليها عدد من رواد الفكر الفلسفي في الوطن العربي من أمثال عبد الرحمن بدوى وزكي نجيب محمود وعثمان أمين ونظمي لوقا ومحمد عبد الهادى أبو ريدة وفؤاد زكريا وغيرهم، من ثم لم يحاول أحد إلا نادراً إعادة ترجمة تلك الأعمال كما حدث عند إعادة ترجمة بعض محاورات أفلاطون، وفى معظم الأحوال كانت تفصل بين الترجمة والأخرى

فترة زمنية طويلة. غير أن الأمر بدأ يتغير في الآونة الأخيرة لأسباب عديدة قد يكون من بينها افتقاد التواصل بين المترجمين، أو عدم اقتناع أو رضى البعض عن الترجمات القائمة، أو التنافس بين مراكز الترجمة التى بدأت تنتشر فى الآونة الأخيرة فى بعض الدول العربية دون تنسيق بينها.

وسوف أتوقف فى هذا البحث عند ترجمة عملين من أهم الأعمال التى صدرت فى مجال الفلسفة عبر العصور. الكتاب الأول هو رسالة منطقية فلسفية من تأليف لودفيج فتجنشتين، والكتاب الثانى هو كتاب بنية الثورات العلمية من تأليف توماس كون.

تعد رسالة فتجنشتين المعروفة باللغة الألمانية باسم Tractatus Logico-Philosophicus ،من أهم الأعمال التي تمت ترجمتها مرتين مختلفتين إلى اللغة الإنجليزية ومرة واحدة إلى اللغة العربية. وقد أمتد تأثير كتتاب فتجنشتين ليشمل كل مدارس الفلسفة التحليلية المعاصرة بل ومعظم الاتجاهات المثالية والميتافيزيقية في الفلسفة المعاصرة. ويعتبر الكثير من مؤرخي الفلسفة أن رسالة فتجنشتين تعد بمثابة نقطة تحول في تاريخ الفكر الفلسفي فى القرن العشرين وإنها "أحدثت تأثيرا هائلاً في كل ما تلاها من أفكار فلسفية" (Pitcher , 1964, p. 6)

وترجع أهمية رسالة فتجنشتين إلى طريقتها الجديدة والفريدة في تناول ومعالجة مشكلات الفلسفية التقليدية، بل وحتى فى طريقتها الفريدة فى كتابة وعرض المشكلات.

ظهرت الرسالة عام 1921 باللغة الألمانية بعنوان: Logisch Philosophische Abhandlung ، ثم تم تغيير العنوان بفضل اقتراح الفيلسوف الإنجليزى المعروف جورج مور إلى العنوان المعروف الآن. وقد قام أوجدن Ogden في العام التالي لصدور الكتاب بترجمته إلى اللغة الإنجليزية مع مقدمة مستفيضة كتبها برتراند رسل. وقد تعرضت ترجمة أوجدن لاعتراضات كثيرة واعتبرها الكثيرون ترجمة غير دقيقة. وقد أدت هذه الانتقادات إلى ظهور ترجمة جديدة بعد فترة زمنية طويلة (1961) اشترك فيها كل من بيرز F. D. Pears وماك جينس Mc Guinness لتلافى أخطاء الترجمة الأولى. وقد نجح المترجمان فى إعادة ترجمة بعض المعانى العويصة فى الرسالة، غير أنه ما زالت هناك بعض المصطلحات المهمة التي مازالت موضع خلاف بين الباحثين في الترجمتين حتى الآن. وقد قام الدكتور عزمى إسلام بترجمة رسالة فتجنشتين إلى اللغة العربية عام 1968 معتمدا على الترجمتين السابقتين بالإضافة إلى الأصل الألمانى.

كان هدف فتجنشتين كما شرحه في رسالته المنطقية هو أن يبين لنا أن مشكلات الفلاسفة يمكن حلها إذا فهمنا الطريقة التي تعمل بها اللغة، وأننا نستطيع حل معظم

مشكلات الفلسفة عندما نفهم "منطق اللغة".

تتلخص الفكرة الجوهرية في رسالة فتجنشتين المنطقية فى القول بوجود بناء منطقي يكمن وراء أي لغة. ويبين لنا هذا البناء المنطقي حدود ما يمكن أن يقال أو لا يقال بطريقة واضحة ذات معنى. وتأتي أهمية هذه الفكرة من أن فتجنشتين يرى أن ما يمكن أن يقال هو نفسه ما يمكن التفكير فيه. ويقود هذا الرأي إلى التسليم بأنه عندما يفهم أي شخص طبيعة اللغة، ومن ثم يفهم ما يمكن التفكير فيه بوضوح ومغزى، فإنه يدرك الحدود التي إذا تخطاها يصبح الفكر واللغة عندها لغواً. ويرى فتجنشتين أن مشكلات الفلسفة التقليدية من قبيل الوجود والواقع، والمعرفة والاعتقاد، والعقل والاستدلال، والحقيقة والمعنى، والقيم الجمالية والأخلاقية، وهى التساؤلات التى تأخذ عادة صيغاً مثل: ما هي الحقيقة، ما هي الموجودات الأساسية في الكون؟ ما هي المعرفة؟ كيف يمكن تحصيلها؟ كيف يمكن لنا أن نتيقن من أن دعاوانا المعرفية ليست خاطئة؟ ما هي الطريقة الأخلاقية التي ينبغي أن نحيا ونسلك بها، ولماذا؟ الخ، تقع وراء حدود اللغة التي لها معنى، وأن مثل هذه المشكلات الفلسفية تنشأ عندما نحاول أن نقول ما لا يمكن قوله أو عندما نحاول أن نفكر فيما لا يمكن التفكير فيه.

ترجم أوجدن Ogden الكلمة الألمانية Sachverhalten الوقائع الذرية atomic fact وهى ذات الترجمة التى أقرها برترند رسل فى مقدمة الرسالة. ولكن بيرز وماك جنيز Pears and Mc Guinness يترجمانها "حالات الأشياء" states of affairs ، والتي تعني أنها إمكان تسمية الأشياء أو الموضوع البسيطة، بحيث تعبر عن قضايا أولية، تستقل كل قضية منها منطقيا عن القضية التي تليها، وبحسبان أن هذه القضايا مستقلة عن بعضها البعض، فلكي نقدم تفسيراً كاملاً للواقع يتعين أن نقول أيها صادق وأيها كاذب. بعبارة أخرى، الواقع يتألف من الوجود وعدم الوجود المتعاقب للوقائع الذرية أو حالات الأشياء.

نلاحظ أن الترجمة الإنجليزية الجديدة فصلتها سنوات طويلة عن الترجمة الأولى، على خلاف ما سنراه عند الحديث عن كتاب توماس كون.

أما الترجمة العربية فقد بذل مترجمها الدكتور عزمى إسلام جهدا كبيرا فى مجاراة ومتابعة عبارات فتجنشتين المراوغة والتى حار المترجمون الثلاثة فى ترجمة الكثير منها إلى اللغة الإنجليزية. وعلى الرغم من الجهد الكبير الذى بذله المترجم إلا أن لنا بعض الملاحظات البسيطة على تلك الترجمة. يترجم الدكتور عزمى إسلام كلمة situation الواردة فى الفقرة رقم 2.0121 "بحالة من حالات الأشياء"، ولكنه يعود فى الفقرة رقم 2.014 ليترجم الكلمة ذاتها "بحالة من حالات الواقع". أما مصطلح Picture فيعد أحد أهم المصطلحات فى رسالة فتجنشتين وهو يستخدمه ليصف العلاقة بين الأشياء واللغة التى تصورها، لكن الدكتور عزمى إسلام إختار أن يترجمها برسم الواقع عوضا عن تصويره، وهو ما أعتقد أنه يفتقر للدقة، إذ

أن فتجنشتين يرى أن اللغة صورة للواقع أو تصور الواقع، ومعنى هذا أن هناك تشابها يصل حد التطابق في البناء بين الصورة والواقع، ومن هنا يجب أن تكون صورة اللغة مماثلة للواقع. وإذا تشوه هذا البناء فإن النتيجة تقود إلى قضايا لا معنى لها، وهذا يعنى أننا نستطيع أن نكّون قضايا ذات معنى فقط إذا توافق شكل اللغة مع بناء الواقع. أما الرسم فيختلف عن التصوير فى أن الرسم قد ينطبق أو لا ينطبق على الواقع، بل أن الأمر يتوقف على قدرة الرسام على الرسم على عكس التصوير الذى يعكس الواقع كما تعكس المرآة الأشياء. خلاصة الأمر أن كلمة رسم الوقائع لا تعبر بدقة عن المعنى الذى أراده فتجنشتين من الكلمة. أيضا يترجم الدكتور عزمى الفقرة رقم 2.172 ومنطوقها "A picture cannot, however, depicts its pictorial form: it displays it." على النحو الآتى: "ومع ذلك فالرسم لا يستطيع أن يمثل ما فيه من صورة للتمثيل، إنما يعرضه". من الواضح أن الإصرار على ترجمة Pictureبالرسم أفسدت المعنى، فضلا عن أنه كان من الأفضل ترجمة تعبير displays بالكشف عوضاعن العرض. من الفقرات الأخرى التى جانب المترجم فيها الصواب أو لم تكن دقيقة كل الدقة على أقل تقدير الفقرة رقم 3.03 ومنطوقها فى ترجمة McGuinness و Pears :

"Thought can never be of anything illogical, since, if it were, we should have to think illogically"

وجاءت ترجمتها على النحو الآتى:

"أننا لا نستطيع التفكير فى شئ ما تفكيرا غير منطقى، وإلا كان علينا أن نفكر بطريقة غير منطقية"

من الواضح أن النص الأصلى يتحدث عن الأشياء لا عن الفكر بمعزل عن الأشياء، والدليل على ذلك أن المترجم فى الفقرة التالية (الفقرة رقم 3.03) يتحدث عن أننا "لا نستطيع أن نتكلم عن عالم غير منطقى" وهو ما يعنى أن فتجنشتين فى الفقرة السابقة كان يتحدث عن لا منطقية العالم المستحيلة وليس استحالة لا منطقية التفكير فى هذا العالم وهى من الأمور الممكنة بل والمتكررة.

وبعيدا عن بعض الملاحظات القليلة السابقة فإن المترجم قدم عملا رائعاً يصعب على الكثيرين تكراره، وربما كانت صعوبة النص الأصلى ودقة الترجمة العربية السبب وراء الإحجام عن إعادة ترجمة رسالة فتجنشتين إلى اللغة العربية مرة أخرى.

أما كتاب توماس كون Structure of Scientific Revolution فهو أحد الأعمال التي عثرت على أربع ترجمات مختلفة لها. ومن الملفت للنظر أن الفترة الزمنية بين أول تلك الترجمات (1985) وآخرها (2008) لا يزيد إلا قليلاً على عقد من الزمان مما

يجعلنا نتوقف قليلاً للمقارنة بين تلك الترجمات.

وحتى ندرك أهمية كتاب توماس كون والتغيير الثوري الذي أحدثه في الحقول العلمية المختلفة بدءاً من الفلسفة ومروراً بعلوم اللغة والعلوم الاجتماعية والطبيعية وحتى السياسة والدين، علينا أن نشير سريعاً إلى الصورة التي سادت مجال فلسفة العلم قبل صدور الكتاب.

حين ظهرت الطبعة الأولى لكتاب كون عام 1962 ، كانت النظرية الوضعية المنطقية وأفكار معارضها الأكبر كارل بوبر ما زالت تتسيد ساحة فلسفة العلم على الرغم من النقد الذي لاقته من تيارات متعددة أثرت على مكانتها الراسخة. ويمكننا أن نشير سريعاً إلى ملامح الصورة التي سادت وقت ظهور ذلك الكتاب فيما يلي:-

(1) سيادة المذهب الواقعي Realism الذي يذهب أنصاره إلى الاعتقاد بأن العلم يحاول الكشف عن عالم واقعي بمعنى أن وقائعه صادقة بغض النظر عن اعتقاداتنا، وأننا بشيء من الجهد نستطيع أن نصل إلى وصف مثالي لكل جوانب الحياة.

(2) الاعتقاد الراسخ بإمكان العثور على معيار للتمييز بين العلم واللاعلم، ولعل عبارة كارل بوبر أحد أقطاب مدرسة فلسفة العلم التقليدي وأحد أهم معارضى التيار الوضعى فى الآن عينه تعبر عن أهمية هذا المعيار:

"يعد حل مشكلة التمييز (بين العلم والعلم الزائف) بمثابة المفتاح لحل كل مشكلات فلسفة العلم".

(3) تراكم المعرفة العلمية: أعتقد معظم أنصار نظرية فلسفة العلم التقليدية في الإيمان بأنه على الرغم من كثرة البدايات الكاذبة غير الموفقة عبر تاريخ العلم، إلا أن العلم يقوم على تراكم المعرفة المنظمة، فضلا عن أن المعرفة ترتبط عند أصحاب هذه المدرسة بالدقة وإمكان إحراز التقدم العلمى. غير أن تراكم المعرفة لا يعني مجرد تراكم الحقائق الجامدة، لأن المعرفة العلمية تنبض بالحياة وتنزع دائماً نحو تحقيق الكمال، من هنا فبعض أقطاب هذه المدرسة يعد نظرية أينشتين استكمالاً أو تحسيناً لنظرية نيوتن.

(4) التمييز الحاسم بين سياقي الكشف والتبرير: وهذا الأمر يعني ضرورة التفرقة بين الشروط الاجتماعية والسيكولوجية المصاحبة للكشف العلمي وبين المسوغات المنطقية التي تبرر الاعتقاد في الوقائع وتقديم البراهين والشواهد على صدق تلك الوقائع.

(5) الإيمان بمقولة وحدة العلم: ويقصد بهذا الأمر ضرورة استخدام ذات المنهج العلمي لمعالجة مشكلات الطبيعة والإنسان، فضلاً عن إمكان رد العلوم الأقل دقة

وصرامة إلى تلك الأكثر تقدماً، فعلم الاجتماع يمكن رده إلى علم النفس، وعلم النفس إلى علم الحياة وعلم الحياة إلى الكيمياء، والكيمياء إلى الفيزياء.

ثمة عناصر أخرى سادت ساحة فلسفة العلم قبل صدور كتاب توماس كون ولكن الصورة النهائية تبلورت في الإيمان بأن العلم يتقدم دائما إلى الأمام أو يقترب من الصدق أو الحقيقة باستمرار وفق مناهج تجريبية دقيقة صارمة.

صدر كتاب بنية الثورات العلمية ليتحدى تلك الصورة الوردية الحالمة وقد كان له تأثير هائل فى تغيير تلك الصورة مما جعله أهم كتاب صدر في النصف الثاني من القرن العشرين في مجال فلسفة العلم حتى أن عدد النسخ التى بيعت من هذا الكتاب بلغت حتى عام 2000 أكثر من مليون نسخة من الطبعة الإنجليزية وحدها، وهو أكبر عدد من النسخ يتم بيعه لكتاب أكاديمي متخصص.

وقد تمت ترجمة ذلك الكتاب إلى أكثر من ثلاثين لغة (On Kuhn, 2001, p. 18) ، وأنا لن استعرض في هذا المقال تفاصيل هذا الكتاب أو مدى تأثيره في مجال فلسفة العلم لأني على يقين من أن الكثير من القراء على دراية كافية بهذه التفصيلات، لكني سأحاول أن أوضح بعض أوجه الاختلاف بين ترجمة مصطلحات توماس كون الأساسية فى هذا الكتاب كما أوردتها لنا الترجمات الأربع المتاحة أمامنا.

الترجمة الأولى صدرت عن دار أورينتال بالإسكندرية عام 2008 تحت عنوان "*تركيب الثورات العلمية*" ، وإن كانت هناك طبعة سابقة لذات الترجمة صدرت عام 1985 وفق ما يقوله مترجمها ماهر عبد القادر في مقدمة الطبعة التى بين أيدينا مما يجعلها أقدم الترجمات الأربع. وقد انفرد ماهر عبد القادر بمصطلح "تركيب" فى ترجمته لعنوان الكتاب ترجمةً للمصطلح الإنجليزي Structure ، في الوقت الذي اختار المترجمون الثلاثة الآخرون، كما سنرى، مصطلح "بنية" ترجمة للكلمة. وعلى الرغم من أن القارئ غير المتخصص قد لا يرى مشاحة فى استخدام إحدى الكلمتين دون الأخرى ترجمة لمصطلح كون، إلا أن ماهر عبد القادر يزعم أن مصطلح تركيب يعبر بصورة دقيقة عن مقصد المؤلف لأن:

مصطلح "تركيب" المستخدم في عنوان كتاب كون كما استخدمناه في ترجمتنا العربية جاء ليصف الثورات العلمية وكيف تحدث، وليشير إلى نسق من المعقولية في عملية التحول من العلم السوي التقليدي إلى العلم الثوري. (ماهر عبد القادر، 2008، ص 31)

الكلمة إذن استخدمها المترجم لاعتقاده أنها تناسب صورة العلم (السوي) ووحدته، والعملية التي تفسر معقوليته في الآن عينه، كما أن مصطلح تركيب، فيما يقول المترجم، يهدف إلى الكشف عن النسق العقلي الذي يزودنا بتفسير للعمليات التي تحدث في نطاق العلم السوي، وفي النهاية يخبرنا المترجم أن مصطلح "التركيب"

يشير إلى نظام تصوري لا يمكن رده إلى الواقع لأنه مستقل عن وصف الكل وتتبع العناصر.

أما مصطلح بنية فيستبقيه المترجم ليشير به إلى العلاقات الديناميكية بين الجامعات وما يتعرض له المجتمع العلمي من تحولات عبر التجانس واللا تجانس. وأخيراً يخبرنا المترجم بأنه تحاشى استخدام مصطلح "بنية" ترجمة لعنوان الكتاب لأن مصطلح البنية في اعتقاده يرتبط بالفلسفة البنيوية إلى حد كبير مما قد يؤدي إلى خلط لا مبرر له، وهو ما لا نوافقه عليه لأن الفلسفة البنيوية أضحت منذ زمن مصطلحاً مستقرا، فضلا عن أحدا من بين الدارسين فى الشرق والغرب لم يتحدث من قبل عن الخلط بين البنية بالمعنى الذى يستخدمه توماس كون ومصطلح البنيوية كما هو شائع فى الأدبيات المعروفة فى هذا المجال.

الترجمة الثانية جاءت بعنوان "*بنية الثورات العلمية*" لشوقي جلال والتي صدرت عن سلسلة عالم المعرفة عام 1992 وهي بحكم زيوع هذه السلسلة أكثر الترجمات انتشاراً بين القراء، وسوف نتحدث عنها لاحقا بشئ من التفصيل.

أما الترجمة الثالثة والتي صدرت عن دار الثقافة بالدار البيضاء بالمغرب عام 2005 فقد اختار لها مترجمها سالم يفوت عنوان "*البنية الانقلابات العلمية*". اختار المترجم كلمة انقلاب ترجمة لمصطلح Revolution الذي اختارت له الترجمات الأخرى الكلمة الأكثر شيوعاً ثورة. وعلى الرغم من أن المرحلة التي يتحدث عنها كون تعد بالفعل انقلاباً على المرحلة التي تسبقها حيث تتغير فيها نظرة العلماء إلى الأشياء تغيراً جوهرياً، إلا أن ما ارتبط بكلمة انقلاب من مدلولات سياسية خاصة في دول العالم الثالث تجعلنا لا نفضل استخدامها ترجمة لمصطلح Revolution ، فالانقلاب في مفهومه السياسي كثيراً ما لا يكون مشروعاً، بل وكثيراً ما يفشل ليقود إلى انقلاب على الانقلاب، فضلا عن أن الانقلاب قد يحدث فى جانب واحد من جوانب العلم بينما تبقى الجوانب الأخرى دون تغيير، أما الثورة فتعنى انقلابا فى كل الجوانب وليس بعضها، من ثم فمن الأفضل تحاشى استخدام هذا المصطلح واستخدام مصطلح الثورة الأكثر تداولاً والذي يعبر بالفعل عن سمات المرحلة التي يتحدث عنها كون وما تحمله من تغيير يشمل كل جوانب النشاط العلمى.

أما الترجمة الرابعة والأخيرة التي صدرت عن *المنظمة العربية للترجمة* التابع *لمركز دراسات الوحدة العربية* عام 2007 فقد اختار لها مترجمها *حيدر حاج إسماعيل* عنوان "بنِ ُية الثورات العلمية"، وقد استخدم المترجم كلمة بُنية (بضم الميم)، وهي ترجمة صحيحة على أية حال.

وعلى الرغم من المسوغات التي ساقها ماهر عبد القادر ليبين تفضيله كلمة تركيب على مصطلح بنية، إلا أنني أعتقد أن مصطلح بنية أكثر ملاءمة لترجمة كلمة

Structure من مصطلح تركيب لأسباب عديدة. إن نقطة الارتكاز الأساسية في كتاب كون "بنية الثورات العلمية" هى فكرة بنية العلم. ومن الأمور المثيرة للدهشة أن كون لم يتوقف كثيرا عند كلمة "بنية" التى جعلها عنواناً لكتابه ليوضح لنا المقصود من مفهوم التركيب أو البنية Structure . يرجع أصل كلمة بنية فى اللغة الإنجليزية إلى الكلمة اللاتينية Structura التى تعنى بناء أو واجهة المبنى façade . ويقصد المؤلفون عادة من استخدام كلمة بنية فى الأدبيات الفكرية المختلفة انتظام أجزاء شئ معين بحيث يبقى "كلا واحدا" على الرغم من تعدد أجزائه الداخلية. ونحن لا نصادف فى كتاب كون تحليلا لهذه اللفظة التى جعلها عنوانا لكتابه، وحتى فى المرات التى يستخدمها فيها تأتى بمعانٍ متباينة. فهو يتحدث أحيانا عن بنية المشكلات، وبنية الكتب الدراسية المرجعيةً المقررة فى مرحلة ما بعد الثورة العلمية، وعن بنية الجماعات العلمية (Hoyningen- Huene, 1993, p.24)

ويتحدث كون أيضاً عن "بنية الجماعة التي تمارس العلم في حقل بحثي معين"

The structure of the group that practice the field (Kuhn, 1970, p.18)

والمرة الوحيدة التي تحدث فيها مباشرة عن مفهوم البنية بصورة توافق عنوان كتابه تلك التى تحدث فيها عن البنية المنطقية للمعرفة العلمية

The logical structure of scientific knowledge (Kuhn, 1970, pp.95-137)

وأخيراً فقد تحدث كون عن معنى مقارب لعنوان الكتاب في رده على منتقديه في مقاله المعروف ردود على نقادي Reflections on my Critics حيث تحدث عن بنية التطور العلمي (Kuhn, 1970, pp. 95-243)

ويعد النظام السيميائي المتحكم في إنتاج وتأليف العناوين أحد أصعب الأنظمة وأعقدها لأنه يتطلب الكثير من الاختزال والكثافة والتأثير المباشر، وينطبق الأمر بطبيعة الحال على ترجمة العناوين كما ينطبق على تأليفها. إن المؤلفين أنفسهم كثيراً ما تنتابهم الحيرة عند وضع عناوين لمؤلفاتهم وكثيراً ما يستشيرون أقرانهم عند وضع تلك العناوين، أما ترجمة تلك العناوين إلى لغة مغايرة فكثيراً ما تكون أكثر تعقيداً من عملية تأليفها لأنها فضلاً عن ارتباطها بموضوع الكتاب فهى ترتبط بالعديد من العناصر الأخرى، من هنا فكثيرا ما ننأى عن الترجمة الحرفية لعناوين الكتب أو المقالات لنستخدم عوضا عن ذلك عناوين تعبر عن روح النص المترجم. ويجرنا هذا الأمر للحديث عن مساوئ نقل العناوين عبر الترجمة الحرفية كلمة بكلمة وهو أمر نصحنا الشاعر الرومانى هوراس بعدم الاعتداد به منذ أمد بعيد فى عبارته الشهيرة:

Nec verbum verbo curabis reddere, fidus interpres

ويعد مفهوم الـ Paradigm أحد المفاهيم الأساسية في كتاب كون والذى بات مصطلحا واسع النتشار تستخدمه معظم الأنساق المعرفية الأخرى، بل أضحى كلمة

تلوكها الألسن آلاف المرات فى اليوم الواحد عن علم أو جهل عبر بلدان العالم المختلفة. وقد اختلفت الكتب الأربعة فى ترجمة هذا المصطلح، فضلاً عن اختلاف العديد من المفكرين الآخرين الذين تعرضوا لأعمال كون بصفة عامة فى إيجاد مقابل مناسب له. ولن نستطيع فى هذا البحث الحديث بالتفصيل عن مفهوم البراديم ولكننا نشير إلى أن كون كان يقصد به أشياء عديدة من بينها أنه:

مجموع القوانين التي لا مناص لشباب العلماء من التسليم بصدقها كشرط مسبق ليحوزوا القبول في المجتمع العلمي. (Richards, 1987, p. 61)

ولا يقتصر مفهوم الـ Paradigm على مجرد معرفة القوانين والنظريات وإنما يتسع ليشمل معرفة الكتب المرجعية والتجارب المعروفة وأخلاقيات البحث العلمى فضلاً عن طرق البحث الخاصة بتحديد وحل المشكلات العلمية.

ترجم ماهر عبد القادر مصطلح Paradigm بكلمة *نموذج* دون أن يقدم توضيحاً أو تبريراً لاختيار هذه الكلمة دون غيرها ترجمة لهذا المصطلح المهم والمحوري في كتاب كون، على الرغم من أنه كتب بحثاً مفصلاً من مئة وثمانين صفحة كمقدمة شارحة للترجمة.

أما شوقي جلال فيترجم الكلمة *بالنموذج الإرشادي* وأحياناً الإطار الفكري. وقد حازت ترجمة المصطلح *بالنموذج الإرشادي* ذيوعاً وانتشاراً كبيراً بين المهتمين بنظرية كون، غير أننا نرى أن المصطلح الأصلي أكثر تعقيدا من أن تعبر عنه هذه الترجمة على الرغم من وجاهتها، وهو أمر جعل معظم من ترجموا كتاب كون إلى اللغات المختلفة يبقون على المصلح كما هو فى صورته الأصلية. ولا يفوتنا فى هذا المقام أن نشير إلى أن توماس كون نفسه استخدم المصطلح بمعان متعددة وأن لغته لم تكن واضحة كل الوضوح في هذه الاستخدامات حتى أن أحد الباحثات أحصت أكثر من عشرين استخداماً مختلفاً للمصطلح تجعلنا مع اعتبارات أخرى سيأتي ذكرها لاحقا لا نوافق على ترجمة هذا المصطلح بالنموذج الإرشادي فى بعض الحالات. من بين استخدامات كون المختلفة لهذا المصطلح وفق قول مارجريت ماسترمان: (Masterman, 1970, pp. 45-89)

- المصطلح Paradigm باعتباره انجازاً علمياً معترف به عالمياً.
- المصطلح Paradigm باعتباره أسطورة.
- المصطلح Paradigm باعتباره مجموعة من الأسئلة أو باعتباره فلسفة معينة.
- المصطلح Paradigm باعتباره كتاباً مرجعياً.
- المصطلح Paradigm باعتباره مصدراً للتصورات.
- المصطلح Paradigm باعتباره وسيلة توضيح قياسية.
- المصطلح Paradigm باعتباره مجموعة من المعاهد أو المؤسسات السياسية.
- المصطلح Paradigm باعتباره وجهة نظر ابستمولوجية عامة.

- المصطلح Paradigm باعتباره طريقة جديدة في رؤية الأشياء.

من الواضح، إذن، أن المصطلح أبعد من أن يكون مجرد نظرية أو حتى مجموعة من النظريات، وإنما هو أقرب ما يكون لطريقة أو لمنهج في رؤية العالم والأشياء في فرع بحثي معين.

وعلى الرغم من أن كلمة "إرشادي" التي أضافها شوقي جلال لكلمة نموذج لتصبح ترجمته للمصطلح "نموذج إرشادي" تعد أكثر الترجمات تعبيراً عن مقصد توماس كون، إلا إنها تتعارض مع حقيقة أن "النموذج الإرشادي" لا يكون مرشداً أو هادياً في أحد مراحل تطور العلم، وهى المرحلة التى يطلق عليها توماس كون اسم مرحلة الأزمة crisis ، بل إن "النموذج الإرشادى" قد يكون مضللا وليس مرشدا لأن الأزمة تحدث بسبب تمسك العلماء الدوجماطيقى "بنموذج إرشادي" غير صحيح يرفضون التخلى عنه، وهي مرحلة تتسم في رأي كون باللاعقلانية؛ فالعلماء لا يمكن إجبارهم بمسوغات منطقية على التخلى عن "النموذج الإرشادي" القديم وإنما يتم فقط حثهم وإقناعهم بطرق سيكولوجية لتبني "النموذج الإرشادي الجديد" وحين يتحول العلماء من تبنى النموذج الإرشادي القديم إلى النموذج الجديد فإن تلك العملية تشبه فى لا عقلانيتها عملية اعتناق دين جديد.

مصطلح "نموذج إرشادي" إذن لا ينطبق على بعض الحالات المهمة فى تاريخ العلم وهو أمر يجعلنا نفضل استخدام مصطلح براديم المعرب ترجمة لذلك المصطلح المراوغ. ويتعين أن نشير إلى أن هناك اتجاهاً متزايداً عند من يكتبون في مجال فلسفة العلم لاستخدام لفظ براديم المعرب عوضاً عن مصطلح "النموذج الإرشادي" تحاشياً لمثل تلك الإشكاليات.

يترجم سالم يفوت مصطلح Paradigm بالباراديم ويجمعها باراديمات، أما حيدر حاج إسماعيل فقد قام بتعريب المصطلح وإن كان على طريقة المدرسة اللبنانية السورية حيث يضيف حرف (غ) لا مبرر له ليطلق على المصطلح اسم باراديغم، وهو أمر يدل على سوء الفهم لأن حرف ال g المستخدم فى مصطلح Paradigm صامت لا ينطق.

أما مصطلح Normal Science فيعد من أهم وأعقد المصطلحات وأكثرها جدة وأصالة في نظرية كون. يترجم ماهر عبد القادر وسالم يفوت المصطلح بالعلم السوي فيما يترجمها حيدر حاج إسماعيل بالعلم العادي أما شوقي جلال فيترجمها "بالعلم القياسي" ويرى شوقى جلال إمكان ترجمة المصطلح بالعلم العادي أو العلم التقليدي لكنه لم يذكر مصطلح العلم السوي ضمن المصطلحات التى تصلح ترجمة للمصطلح، ويبرر اختياره لمصطلح"العلم القياسي" عوضا عن مصطلح العلم العادى بقوله أن:

"العلم العادي هو ما ألفه الباحثون وجرت العادة به. إلا أن كلمة "عادي" تعني

من بين ما تعني التلقائية والانصراف عن أعمال العقل في مدلول السلوك وظاهره. هذا فضلاً عن أن صفة "عادي" باتت على الألسن تحمل الذهن على التفكير في أن المقابل هو "المتميز"

(شوقي جلال 1992، ص 34)

هكذا رفض شوقي جلال مصطلح العلم العادي ربما لابتذال اللفظ، ومن الطريف أن كارل بوبر يرفض المصطلح في لغته الأصلية لأنه فهم أن كلمة normal تعنى "عادى" وليس "قياسى"، وهو وإن كان يقر بوجود هذه المرحلة، إلا أنه يختلف في تفسيرها عن تفسير توماس كون:

لقد اكتشفت أمراً عجزت في البداية عن رؤيته، وأقر بأنني استنرت كثيراً لاكتشافه، وعلى الرغم من اختلاف وجهة نظري في الظاهرة التي اكتشفها كون (العلم العادي) إلا أنني أعترف بوجود هذه الظاهرة التي كنت قد أغفلتها ولم استشعر أهميتها من قبل على الإطلاق. (Popper, 1974, p. 1145)

تعد مرحلة "العلم القياسى" في حقيقة الأمر، أحد أهم الاستبصارات التي قدمها كون فى نظريته، وهذه المرحلة، على أهميتها، لم تلق اهتماما كافيا من فلاسفة العلم قبل معالجة كون لها. وعلى الرغم من أهمية هذه المرحلة التي تشكل أطول فترات العلم مما يجعل مصطلح العلم القياسى في هذه الحالة مناسبا لها، إلا أنها تعرضت لسوء فهم من قبل العديد من المفكرين والنقاد. فقد ظن البعض أن هذه المرحلة تقتصر على النشاط العلمي الروتيني الذي يشبه حل الأحاجى، ومن ثم فهى مرحلة لا تتسم بالابتكار أو التجديد وإنما تعبر عن علم محافظ تقليدي يقوم المجتمع فيه بتقريظ العلماء لقيامهم بتكرار نفس العمل مرات ومرات، وأن غاية المراد عندهم هى محاولة تحسين النشاط العلمي في ظل البراديم السائد. وفى فترة العلم القياسى لا يرتاب العلماء في سلطة البراديم أو يشككوا فيها، وإنما يعالجون فقط المشكلات التي تقبل الحل، أما المشكلات التي تستعصى على الحل فيتم تجاهلها أو رفضها أو تأجيل التعامل معها أو اعتبارها مجرد مشكلات ميتافيزيقية. ودعنا لا ننسى أن معظم العلماء الثقاة يعتبرون العلم هو "فن المشكلات القابلة للحل". وفى النهاية يتم إنجاز البحث العلمي في فترة العلم القياسى الطويلة الممتدة وفق إطار مرجعي معين ونادرا ما تحدث في تلك الفترة منازعات خطيرة حول مكانة البراديم السائد.

خلاصة القول إن ترجمة شوقى جلال Normal Science بالعلم القياسي تعبر بالفعل عن معظم فترات هذه المرحلة وإن كانت لا تعبر عن وضع العلم فى مرحلة الأزمة التى تقع ضمن هذه المرحلة، أما ترجمة مصطلح normal بكلمة "عادى" فهى ترجمة غير موفقة لأن العلم العادي، وان كنا نقر بوجوده إلا أنه علم ردئ يمارسه أولئك الذين يطلق عليهم فيكتور هوجو اسم "أصحاب البرولتياريا الفكرية في

البحث العلمي" وهم أولئك الذين يمارسون العلم بغرض الارتزاق وليس باعتباره مهمة معرفية (Richards, 1987, p.62)

وقد لا يكون مناسبا ترجمة مصطلح Normal Science بالعلم السوى لأن كلمة سوى ارتبطت لدينا بتداعيات سيكولوجية تجعل اللفظ المقابل لها وهو العلم الثوري علما شاذاً، وهو وإن كان بالفعل شاذاً عن المألوف لكنه شذوذ محمود لا يتكرر إلا نادراً.

ومن المصطلحات التي اختلف المترجمون الأربعة حولها مصطلح anomaly، إذ أن مرحلة العلم القياسي لا تستمر بما يسودها من هدوء ورتابة إلى ما لا نهاية، إذ بعد مرور فترة زمنية طويلة من الهدوء يكتشف العلماء ظواهر ووقائع لا تنسجم أو تتوافق مع البارادايم السائد وهى الظواهر التي يطلق عليها "كون" اسم anomalies، وقد ترجمها ماهر عبد القادر وشوقي جلال بالشذوذ وترجمها سالم يفوت "الخروج عن المعتاد"، أما حيدر حاج فترجمها "ظاهرة عدم انتظام التوقع" والترجمة الأخيرة غير موفقة لأن كون يقصد بها الانحرافات التي لا يمكن التنبؤ بها وفقاً للبارادايم السائد، وهو أمر من شأنه أن يثير الكثير من الاضطراب بين أعضاء المجتمع العلمي ويقود في نهاية الأمر إلى حدوث الثورة العلمية. ويخبرنا كون أن الباحثين والعلماء يحاولون في بداية الأمر التغلب على تلك الانحرافات من خلال اختراع ما يسمى بالفروض المساعدة أو الأدهوكية ad hoc hypotheses، المعدة خصيصا لإنقاذ البارادايم ، وهي فروض تنجح أحيانا في الوفاء بمهمة إنقاذ البرادايم، لكن مع تراكم الانحرافات تعجز الفروض المساعدة عن الوفاء بالمهمة، وهنا تتسلل العناصر اللاعقلانية إلى قلب المشروع العلمي. من مظاهر هذه اللاعقلانية أن العلماء كثيرا ما يتجاهلون وجود هذه الانحرافات ويستمرون في العمل وفق البارادايم القائم كما لو لم يكن لتلك الانحرافات أي وجود. وينتهي الأمر إلى فشل الفروض الأدهوكية وعدم جدوى تجاهل المشكلة في حل هذه المعضلة، إذ تنوء النظرية أو البارادايم بالفروض المساعدة المتراكمة ويطرأ نوع من الترهل على البنية النظرية للعلم، وهو أمر يؤدي إلى شعور العلماء بخطر حقيقي داهم يواجهه البارادايم وهي مرحلة يطلق عليها "توماس كون" أسم الأزمة ومن الطريف أن توماس كون وضع فصلاً خاصاً بمرحلة الأزمة أطلق عليه اسم The Response to crisis وقد ترجم ماهر عبد القادر هذا الفصل ترجمة تأويلية غير موفقة باسم "مصدر الأزمة" بينما ترجمه المترجمون الثلاثة الآخرون بصورة أكثر دقة بعنوان الاستجابة للأزمة.

وعند الحديث عن الثورة العلمية التي انفرد سالم يفوت بإطلاق اسم انقلابات عليها، أفرد توماس كون فصلا مستقلاً عن اضمحلال الثورة العلمية أى خمود تأثيرها بعد فترة زمنية وعودة الأمور إلى مسارها الطبيعى الذى يتسم بالاستقرار والعودة إلى بمرحلة جديدة من العلم القياسى. وقد أطلق توماس كون على هذا الفصل

اسم The Resolution of revolution وقد ترجمه ماهر عبد القادر ترجمة غير دقيقة بعنوان "تحليل الثورة" في حين ترجمه شوقي جلال ترجمة دقيقة بعنوان "انحلال الثورات"، وترجمه حيدر إسماعيل "خمود الثورات"، أما سالم يفوت فقد وضع له ترجمة لا علاقة لها بالعنوان الوارد في الكتاب بعنوان "كيف يتم التحول من براديم إلى أخر" (سالم يفوت. ص9)

ويجرنا هذا الأمر إلى الحديث عن مساحة الحرية التي يتعين أن تتاح للمترجم؛ فإذا كان من حق المترجم تأويل بعض النصوص الغامضة للنفاذ إلى أقرب المعاني التي يقصدها المؤلف، فلا يحق له إن يتجاهل ترجمة عنوان أحد فصول الكتاب أو يغفل جزءا كبيرا من هوامش الكتاب كما حدث في ترجمة ماهر عبد القادر. إذ على الرغم من المقدمة التفصيلية التي وضعها ماهر عبد القادر لترجمته إلا أنه الوحيد من بين المترجمين الذي أغفل ترجمة هوامش الكتاب الأصلي رغم أهميتها الكبرى في فهم الكتاب. ربما تكون الترجمة التي بين أيدينا موجهة إلى طلبة المرحلة الجامعية الأولى الذين قد لا تعنيهم الهوامش والتفاصيل، ولكن الترجمة التي بين أيدينا لا تقول ذلك.

ويجرنا هذا الأمر إلى الحديث عن ترجمة عناوين الفصول فقد جاء الفصل العاشر في الكتاب الاصلى بعنوان Revolutions As Change of World View وترجمها شوقي جلال ترجمة دقيقة بعنوان "الثورات العلمية باعتبارها تحول في النظرة إلى العالم" وترجمها سالم يفوت "الانقلابات كتحول في نظرتنا إلى العالم" وترجمها حيدر حاج إسماعيل "الثورات بوصفها تغيرات في المنظرة إلى العالم" بينما ترجمها ماهر عبد القادر"الثورات كتغيرات لوجه العالم". وتجعلنا الترجمة الأخيرة للعنوان نطرح السؤال: هل كان توماس كون يقصد بالتحول الذي يحدث أثناء الثورة تغيرا في نظرتنا نحن إلى العالم أم يقصد تغيرا في العالم ذاته؟ والإجابة أنه كان يقصد بالطبع تغيرا في رؤيتنا نحن للأشياء، أما الأشياء ذاتها فتظل كما كانت قبل الثورة. ولكى يوضح توماس كون الأمر استخدم التشبيه الجشتلطى المعروف الخاص بتحول الصور البصرية قبل وبعد الثورة العلمية، فما كان يبدو لنا قبل الثورة في صورة بطة أضحى يبدو بعدها في صورة أرنب. من الواضح أن العلماء إبان الثورة العلمية يرون أشياء جديدة مغايرة لما شاهدوه من قبل حتى إن الأمر يبدو كما لو كانوا قد انتقلوا فجأة إلى كوكب جديد، حيث تبدو لهم الموضوعات القديمة في صورة جديدة مختلفة. يخبرنا كون أن ما حدث لا يعد تغيراً في المواقع الجغرافية، فالأشياء خارج المعمل تظل كما كانت من قبل تماما وكل ما هنالك أن العلماء يرون العالم وفق البارادايم الجديد في صورة مغايرة.

ولا يبدو كون واضحاً بما فيه الكفاية عند معالجة هذا الموضوع، فبعض العبارات المبكرة التي استخدمها في كتابه "بنية الثورات العلمية" توحي بأنه كان يقصد حدوث تغير بالمعنى الحرفي والمجازي للكلمة، فهو يقول في الفصل العاشر

من كتابه:

"...تنتاب الدهشة مؤرخي العلم من أن العالم ذاته يتغير مع تغير البارادايم"

"…(w)hen paradigms change, the world itself changes with them" (Kuhn, 1970, p. 111)

ويقول في موضع آخر:

"... بعد الثورة يعمل العلماء في عالم آخر مختلف" . (Kuhn, 1969, P. 135)

ويقول:

... يمارس أنصار البارادايمات المختلفة عملهم فى عوالم مختلفة... وهذه الممارسات المختلفة تجعلهم يشاهدون أشياء مختلفة حتى عندما يتطلعون من نفس الاتجاه ونفس المنظور.(Sankey, 1993, p. 761)

يقارن كون بين رؤية الظواهر قبل الثورة وبعدها فيقول إنه في الوقت الذي لا يرى الدارس المبتدئ في الخريطة الكونتورية سوى مجموعة من الخطوط المصفوفة على سطح ورقة بيضاء لا تعنى له شيئا، فإن العالم المتمرس يرى فيها تضاريس وهضاب وجبال. وإن ما يراه أتباع نظرية جاليليو بندولاً متحركاً، يراه أتباع أرسطو مجرد حجر يسقط ببطء إلى أسفل، ولعل أشهر مثال استخدمه كون هو مثال البطة والأرنب المشهور، فما كان يراه العلماء قبل الثورة بطة أضحوا يرونه بعدها أرنباً، أو أن بعض العلماء أثناء الأزمة يرون بطة بينما يراها أنصار النموذج المنافس أرنباً. (Kuhn, 1970, p. 111)

ويجب أن نشير هنا إلى أن عملية التغير لا تقتصر على مجرد الظواهر الملاحظة فحسب، وإنما تمتد لتشمل تصور العلماء عن ماهية العلم وفلسفته، فالبارادايم، الذي تغير، كان مصدر التصورات والرؤى والفروض، كما كان مصدر المناهج، والطرق البحثية، بل ومصدر معايير تحديد المشكلات وحلولها. وغني عن البيان أن أي تغيير جوهري في بنية هذا البارادايم يقود آليا إلى تغيير كل العناصر السابقة مما يقتضي بطبيعة الحال ضرورة إعادة صياغة هذه العناصر مرة أخرى. من هنا تصبح ترجمة ماهر عبد القادر لعنوان الفصل السابق غير دقيقة أو معبرة عن مقصد المؤلف.

ويعد مصطلح Incommensurability أحد أهم مصطلحات توماس كون وأكثرها إثارة للخلاف فى الآن عينه. وقد ترجمه شوق جلال "اللا قياسية" (ص271)، كما ترجمه ماهر عبد القادر "ما ليس قابلا للقياس" (468) وترجمه سالم يفوت "عدم القابلية للقياس"، (242) وترجمه حيدر حاج إسماعيل" عدم إمكان المقارنة" (ص321) وكلها ترجمات مناسبة وإن كنا نفضل ترجمة شوقى جلال للمصطلح لأن اللا قياسية تعني، في أبسط صورة لها، استحالة المقارنة بين

النظريات التي تنتمي لبراديم قديم وآخر جديد (يفضل البعض تسميتها باللامقارنية)، أي بين النظريات التي تسود قبل الثورة العلمية وبعدها؛ إذ لا توجد، في رأى توماس كون، معايير مشتركة يمكن من خلالها مقارنة محتوى تلك النظريات. من هنا اعتبر الكثير من النقاد أن مقولة اللاقياسية تقود إلى القول بعدم وجود أسس موضوعية أو عقلانية لاختيار النظريات، فكل نظرية تحمل في طياتها معايير قبولها التي لا يمكن أن تمتد لتنطبق على غيرها من النظريات. ولا يقتصر مدلول هذا المصطلح على عدم إمكان المقارنة بين نظريات العلم السابقة واللاحقة لإختلاف التصورات المتضمنة فى النظريتين فحسب وإنما لأن مدلول الكلمات ذاته يتغير أيضا مع تغير البراديم. ولكن ما علاقة الترجمة الحرفية والترجمة التأويلية بنظريات ما قبل الثورة وما بعدها؟ يتضح الأمر إذا علمنا أن أحد الشروط الضرورية للترجمة بالمعنى الضيق تكمن في التخطيط الجيد لتصورات اللغة المصدر المراد الترجمة منها وتحويلها إلى مفاهيم وتصورات في اللغة المستهدفة بحيث يكافئ كل مفهوم مفهوماً آخر من حيث المعنى والمدى، وإذا كانت المفردات والكلمات في اللغة الأصلية واللغة المنقول إليها يمتكان بنيتين مختلفتين بحيث لا يمكن أن يتطابق فيهما مفهومان، فإن واحداً من شروط الترجمة الضرورية يغدو مفقوداً. تقع اللاقياسية، إذن، حين تختلف بنية العالم وفقاً لمعانيها في المعجم عما كانت عليه من قبل. وقد أدخل كون فى مقال آخر فكرة المماثلة بين مفهوم اللاقياسية وكيفية إجادة بعض الأشخاص الحديث والترجمة بلغتين مختلفتين. فعملية الفهم الحقيقى للغة أجنبية ثانية تقدم لنا أشخاصا يجيدون "فهم" اللغة وليس مجرد مترجمين لها. (Kuhn, 1991, p.5)؛ إذ لا يتعين على الشخص لكى يجيد لغة ثانية أن يكون قادرا على ترجمة كل مصطلح من مصطلحات تلك اللغة إلى لغته المحلية، فهو يستطيع اكتساب اللغة الثانية دون الحاجة لتوسيط لغته الأولى، الفهم إذن، ممكن دون القدرة على الترجمة. إن من يجيدون أكثر من لغة يثرون لغتهم الأم من خلال المفردات الجديدة التى يضيفونها إليها. ويرى كون أن هناك توازيا بين طرق اكتساب لغة ثانية وبين العمل المنوط بمؤرخى وفلاسفة العلم والعلماء أنفسهم، فهم يستطيعون أيضا معرفة أو اكتساب معانى المصطلحات غير المألوفة دون الحاجة إلى ترجمتها إلى مفردات نظرياتهم الراهنة السائدة فى مجتمعاتهم العلمية.

أخيراً، يتعين أن نشير إلى أن العلاقة الوثيقة التى تربط بين النص الأصلى أو المصدر وبين النص المترجم علاقة معقدة ذات أبعاد متعددة وإذا كانت معظم النظريات تذهب إلى ضرورة أن يقول النص المترجم نفس ما يقوله النص الأصلى قدر الإمكان فإن المشكلات التى نجابهها عند التطبيق كثيرا ما لا تمكننا من الوفاء بهذا الغرض. ثمة عناصر لغوية وغير لغوية تحول بيننا وبين تحقيق التطابق التام بين النص المترجم والنص الأصلى، من هنا يصبح غاية ما نطمح فيه هو تحقيق لون من ألوان التطابق النسبى، وحتى هذا التطابق النسبى كثيرا ما يتعذر تحقيقه بسبب

تلك الاختلافات. فهناك الاختلافات اللغوية بين النصين والتى تتمثل فى المستوى الصرفى والتركيبى والدلالى، وهى اختلافات تقع حتى بين اللغات المتقاربة أو التى تنتمى إلى أصول واحدة من قبيل اللغة الفرنسية والأسبانية، على سبيل المثال. ثم هناك الاختلاف بين المؤلف والمترجم الناجم عن اختلاف الثقافة والحضارة، ثم اختلاف الزمن بين التأليف والترجمة (لعل كتاب كارل بوبر منطق الكشف العلمى خير مثال على ذلك، فقد صدر الكتاب باللغة الألمانية عام 1934 بعنوان *Logik der Forschung* ، ثم صدرت الترجمة الإنجليزية عام 1959 بعنوان *The Logic of Scientific Discovery* مما كان له أثر كبير فى تأخر معرفة الكثيرين بالأفكار المهمة التى تضمنها ذلك الكتاب)

وبعيدا عن الاختلافات السابقة، لا نستطيع الحديث عن مطابقة تامة بين النص الأصلى والنص المترجم، بل لا نستطيع الحديث عن التطابق التام حتى داخل اللغة الواحدة، فالكلمات تتغير بتغير السياق، من هنا فمن الأفضل أن نتحدث عن التكافؤ عوضا عن التطابق. ويتعين فى النهاية أن نشير إلى أن التطابق ليس ممكنا كما أنه ليس ضروريا فى الآن عينه، ولعل عبارات الأديب الفرنسى أندريه جيد حين كان يتابع ترجمة أعماله إلى اللغة الإنجليزية بنفسه تعبر عن هذا الأمر خير تعبير حيث يقول:

فى الأيام الأولى، كنت أطلب أن تخضع ترجمات أعمالى لرغبتى، وكانت الترجمة التى تتحقق وفق مشيئتى، تبدو أفضل الترجمات اقترابا من النص الفرنسى، لكن سرعان ما تيقنت من الخطأ الذى وقعت فى براثنه، واليوم، أوصى من يترجموا أعمالى ألا يعتبروا أنفسهم عبيدا لكلماتى. (Les essays)

أما فيما يختص بتعدد الترجمات للعمل الواحد، فقد تتوافر لدينا مبررات لغوية أو فنية أو جمالية تدعونا لإعادة ترجمة بعض النصوص فى مجال الدين أو الأدب. أما فى مجال الفلسفة فالأمر يبدو أكثر تعقيدا؛ فالأعمال الفلسفية تجمع من جهة بين صرامة الأعمال العلمية التى تتطلب الدقة فى نقل وترجمة المصطلحات، ومن جهة أخرى بين الأعمال الإبداعية الأدبية التى تتطلب اهتماما بالنواحى اللغوية والجمالية. من هنا يتعين أن تتتوافر لدينا مبررات قوية لإعادة ترجمة عمل فلسفى معين، ولعله من الأفضل أن نقوم بترجمة العديد من الأعمال الفلسفية المهمة التى لم تترجم إلى اللغة العربية عوضاً عن إعادة ترجمة أعمال ربما تكون ترجمتها الأولى أفضل من الترجمات الجديدة فى كثير من الأحوال.

مراجع البحث:

- أبو الوليد بن رشد: "فصل المقال في ما بين الحكمة والشريعة من الاتصال"، القاهرة 1910
- أبو حيان التوحيدي: المقابسات، تحقيق محمد توفيق حسين، مطبعة الإرشاد، بغداد، 1970
- إدريس القري: الصورة والترجمة والتأويل: ضد المعرفة العامية، أنفاس، http://www.anfasse.org/portail/
- توماس كون: بنية الانقلابات العلمية، ترجمة سالم يفوت، دار الثقافة، الدار البيضاء، 2005
- توماس كون: بُنية الثورات العلمية، ترجمة حيدر حاج اسماعيل، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2007
- توماس كون: بنية الثورات العلمية، ترجمة شوقى جلال، عالم المعرفة، العدد 168، ديسمبر 1992، الكويت
- توماس كون: تركيب الثورات العلمية، ترجمة ماهر عبد القادر محمد على، دار أورينتال، الأسكندرية، 2008
- الجاحظ: كتاب الحيوان، تحقيق محمد عبد السلام هارون، دار الجيل، 1955، الجزء الأول.
- المصطفى مويقن: مفهوم "الأمانة" في الترجمة، http://www.almolltaqa.com/
- زهير الخويلدى: هيدجر والبحث عن أصالة الذات: من دكتاتورية الهم إلى تحليلية الدازاين. ، الحوار المتمدن، العدد 2835، 2009
- سعيد توفيق: هرمنوطيقا النص الأدبي بين هيدجر وجادامر ، مجلة نزوى، العدد الثانى، يونيو 2009
- صلاح قنصوة: فلسفة العلم. دار الثقافة للنشر، القاهرة،1987
- طه عبد الرحمن: اليقظة الفلسفية المغربية ودرء آفة التقليد، مدارات فلسفية ، العدد 1، 2008
- عبد السلام بنعبد العالي: الترجمة ومفهوم الأصل، http://www.alawan.org/
- عبد السلام بنعبد العالي: في ما لا يقبل الترجمة، ، http://www.alawan.org
- عبده عون رمضان: بحيرة لامارتين، قوة الشعر وتعدد الترجمات ، جريدة الاتحاد، 29-مارس- 2006

- فورطوناطو إسرائيل: الترجمة الأدبية: تملك النص، ترجمة مصطفى النحال. http://www.aljabriabed.net/n10_13nahal.htm
- علي القاسمي: الترجمة وأدواتها، دراسات في النظرية والتطبيق ، بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، 2009
- لودفيج فتجنشتين: رسالة منطقية فلسفية، ترجمة الدكتور عزمى إسلام، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1968
- مريم سلامة كار: الجاحظ والترجمة' ترجمة: عبد الحق لمسالمي مراجعة: مصطفى النحال.
- مصطفى لبيب عبد الغنى: دراسات تطبيقية فى الترجمة، المركز القومى للترجمة، القاهرة، العدد 1436، 2010
- ميخائيل أوستينوف: نظريات الترجمة ، ترجمة محمد أحمد طجو. http://fyathnaem.maktoobblog.com/
- هوراس: فن الشعر، ترجمة لويس عوض، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1988

- Chen, X. (1997) Thomas Kuhn's Latest Notion of Incommensurability. Journal for the *Philosophy of Science*, 28, Kluwer academic Publishers
- Fuller, S.(2001) Is There Philosophical Life after Kuhn? *Philosophy of Science*, Vol. 68, no 4
- Georges Mounin. (1963) Problèmes théoriques de la traduction, Paris, Gallimard
- Grayling, A.G, Wittgenstein Oxford University Press, 1988
- Hartnack, J., Wittgenstein And Modern philosophy. University of Notre Dame Press, Indian, 1986
- Hoyningen-Huene.(1993) Reconstructing Scientific Revolutions: Thomas Kuhn's Philosophy of Science. Chicago, Chicago University Press.
- Kuhn, T. S.(1962) The Structure of Scientific Revolutions. Chicago: University of Chicago Press, (2nd enlarged edition, 1969, 3rd edition, 1996)
- Lakatos, I, and A. Musgrave, eds.(1970) Criticism and the Growth of Knowledge. London, Cambridge University Press

- Mastermann, M (1970) The nature of a Paradigm. In Lakatos and Musgrave (eds.)
- Popper, K. R (1974) Reply to My Critics. In Schilpp, P. A. The Philosophy of Karl Popper, 2 Vol., Open Court, Illinois
- Reich, G.A (1991) Did Kuhn Kill Logical Positivism? *Philosophy of Science*, Vol. 58, No. 2
- Richards. S. (1987) Philosophy and Sociology of Science. Basil Blackwell, NY
- Sankey, H (1993) Kuhn's Changing Concept. *British Journal For Philosophy of Science*,44, no 4

- Szumilewicz, I. (1977) Incommensurability And the Rationality of the Development of Science. *British Journal for Philosophy of Science*, 28
- Wittgenstein, L., (1961) Tractatus Logico- Philosophicus. London, Routledge and Kegan Paul.